لتعليم في دمشق في القرن السادس الهجري

الدكتورة
امينة البيطار

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

تعرضت بلاد الشام سياسياً في هذه الفترة إلى الكثير من الصعوبات . وتقاسمت الحكم فيها قوى متعددة . فقد أسس الفرنج أربع إمارات لهم في الرها ، وأنطاكيه ، وطرابلس ، والقدس . كما بدأ منذ مطلع القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، انحسار السيادة السلجوقية عن بلاد الشام ، وظهور وحدات سياسية صغيرة أطلق عليها اسم الأتابكيات ، وعلى أصحابها اسم الأتابكة . فكانت أتابكية الموصل وصاحبها عماد الدين زنكي ، الذي اتيح لابنه نورالدين ، تأسيس ملك عريض في الشام في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، وأتابكية دمشق الذي أسسها طغتكين (١) . على حين ظل الفاطميون يسيطرون على فلسطين وسواحل الشام . وقد ورث الأيوبيون ماكان للزنكيين بعد ذلك . وتكفلت كل من الدولتين الزنكية والأيوبية بمهمة الوقوف في وجه الصليبيين وتوحيد بلاد الشام .

وإذا كان الوضع السياسي في بلاد الشام على هذا الشكل ، فإن الوضع التعليمي لم يكن كذلك . فقد تقدم التعليم في المنطقة على نطاق واسع . وتمثل ذلك بانتشار المدارس المتخصصة ، ودور الحديث ، والخوانق ، والزوايا ، والمساجد، وكلها تحمل مهمة نشر العلم . (٢)

وقد عجب ابن جبير حين زار بلاد الشام سنة ٥٨٠هـ من نهضتها العلمية ، وسرّ لكثرة دور العلم والمساجد فيها ، وفضلها في هذا المجال على بلاد المشرق عامة ، ونصح نشأة المغرب بالتغرب في طلب العلم ، ودخول بلاد الشام للنهل من علومها ومعارفها ، حيث يجدون الأمور المعينات فيها . كما قرر أن الغرباء من طلبة العلوم فيها لايدخلون تحت حصر (٣) .

وحقيقةُ الأمر أن المدارس تزايد عددها في مدينة دمشق في هذا القرن كثرةً تلفت النظر ، ومما لاشك فيه ، أن وراء ذلك أسباباً قوية أهمها مايلي :

---

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، الجزء الأول ، ط٢ ، ص١١٦

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ، مطبعة المفيد ١٩٣٨ ، الجزء السادس ، ص ٦٧

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، دار التحرير للطبع والنشر ١٩٦٨ ، ص ٢٠٠

١ ــ لقد شجع بنوزنكي فكرةَ تشييدِ المدارس في الشام لنشر المذهب السني عامة ، والحنفي خاصة (١) . ويتضح ذلك حين نعلم أن نور الدين قال لجماعة من العلماء اجتمع بهم « نحن ما أردنا ببناء المدارس إلا نشرَ العلم ، ودحض البدع من هذه البلدة ، واظهارَ الدين . وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا يليق»(٢)

كما شجع الأيوبيون بناء المدارس لنفس الغرض (٣) . فقد كان بناءُ صلاحِ الدين للمدارس ، خطةً موضوعة لهدم المذهب الشيعي ، وطريقةً مرسومة للقضاء على الأفكار التي أتى بها الفاطميون الاسماعيلية (٤) .

٢ ــ الاهتمامُ الكبير الذي حظي به العلماءُ والمدرسون ، فقد وفر لهم نور الدين ، ومن بعده صلاحُ الدين سبلَ الرعاية والتشجيع ، كما وفرا لهم الرواتب العالية والمساكن ، حتى يتفرغوا للعلم ونشره (٥) . وفتحا المدارسَ الكثيرةَ من أجلهم . وكان يكفي وجودُ عالمٍ من العلماء في مادة من المواد ، كدافع لبناء مدرسة له ، ليقوم بالتدريس فيها . فقد بنى نورُ الدين مدرسة لشرف الدين بن أبي عصرون في دمشق ، وفوض إليه التدريس فيها ، وأن يوليها من شاء . وبنى لقطب الدين النيسابوري المدرسة العادلية ولم يتمها (٦) .

٣ ــ همةُ كل من نورالدين وصلاح الدين العالية في نشر الأمن ، والوقوف بحزم امام الأعداء ، فوثق الناس بحكامهم في الدفاع عن حياتهم ، وانصرفوا للنهل من العلم . ولنا فيما كتبه ابن شداد أكبر دليل على ذلك . فقد تحدث عن نور الدين فقال : فأما فكره ففي اظهار شعار الاسلام ، وتأسيس قاعدة الدين

---

(١) يذكر ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ ، جزء ١٢ ص ٢٧٨ أن نورالدين كان حنفي المذهب وفقيهاً فيه ــ نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط في العصور الاسلامية ، دار المعارف بمصر ، ص ١٢٦

(٢) ابو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، جزء ١ ، ص ١٣

(٣) نعمت اسماعيل علام : المرجع السابق ، ص ١٣٦

(٤) عمر رضا كحالة : دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية ، ص ٩٣

(٥) عبدالغني محمود عبدالعاطي : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير ، ص ٦٦

(٦) كحالة : المرجع السابق ، ص ٩٩

من بناء المدارس والربط والمساجد ، حتى إن بلادَ الشام كانت خاليةً من العلم وأهله، وفي زمانه صارت مقراً للعلماء والفقهاء والصوفيه، لصرف همته الى ابناء المدارس والربط ،وترتيبِ أمورهم ،والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم (١).

وقد تبع هذه الحركة العلمية النشيطة ، عقد مجالس للعلم ، وتشجيع اقتناء الكتب . وكانت مجالس العلم المعقودة في هذا العصر على رأي المؤرخ أبي شامة (٢) مجالسُ حكم وحياء ، لايذكرُ فيها إلا العلمُ والدين ، وأحوال الصالحين والمشاورة في أمر الجهاد ، وقصد بلاد العدو . وكان الحضورُ كأن على رؤوسهم الطير ، تعلوهم الهيبةُ والوقار . أما بيع الكتب فكان يتم بأرخص الأثمان : وغالباً مايكون في يومين من أيام الاسبوع (٣) .

١ ــ أركان الحركة العلمية :

يشمل ذلك الحديث عن متسلمي الوظائف العلميه ، كالمدرسين ، والمعيدين ، والطلاب ، ومتسلمي الوظائف الإدارية كالناظر والشاهد والمشارف والصدد . ومتسلمي الوظائف العمليه كالموذن والقيم .

آ ــ متسلموا الوظائف العلمية :

ــ **المدرسون :** يقف المدرسون على رأس هيئة التدريس . وكان يشترط في المدرس العلمُ التام بمادته ، وحسنُ الديانة ، والورعُ والتقى .

كان المدرس في مدرسة من المدارس كأنه جزء منها . يتم تعيينه من قبل واقف المدرسة . ولا يمكن أن يحل فيها مدرس جديد عوضاً عنه ، إلا إذا تنازل المدرس السابق له (٤) . إما كليـــــاً أو جزئياً . كأن يتنازل عن ثلث التدريس أو نصفه مجاناً أو مقابل تعويض (٥) . إلا في أحوال استثنائية .

---

(١) ابو شامة : المصدر السابق ، جزء ، ص ١٤

(٢) ابو شامة : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠

(٣) ابوشامه : المصدر السابق جزء ١ ص ٢٦٨

(٤) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، جزء ١ ، ص ٥٣٧

(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٩٥ ــ ٣٩٦

نال المدرسون مكانة كبيرة في هذا العصر ، لم يرق إليها غيرهم ، حتى أصحابُ المراكز السياسية والعسكرية ، وأصحابُ النفوذ المادي . فكان نورُ الدين يقف للعلماء ويمشي بين أيديهم ، ويجلسُهُم إلى جانبه . على حين أنه إذا دخل عليه كبار رجال الدولة يستمرون وقوفاً إلى أن يأمرهم بالجلوس . (١)

وكان رجال العلم يستطيعون توجيه النقد اللاذع للمجالس العلمية التي يعقدها السلطان فقد وجه ابن عساكر النقد لمجلس صلاح الدين وشبهه بمجلس السوقة ، ورفض حضوره ، حتى أمر صلاح الدين أصحابه أن لايكون منهم ماجرت به عادتهم إذا حضرَ الحافظ . (٢)

كما كان العلماءُ سفراءَ الملوك والأمراء إلى الخلفاء وأولي الأمر . وكثيراً ماتوسطوا في فض الخلاف بين الأمراء (٣) .

كان المدرس موسعاً عليه في الرزق لكثرة مايوقف له وباسمه . فقد بلغت وقوف نور الدين سنة ٥٦٨هـ وحدها كل شهر تسعة آلاف دينار صورية ، تعود للقراء والعلماء فقط (٤) . وكان كثير من المدرسين يأنفون من أخذ مايخصهم من الأوقاف . فقد رفض الحافظ القاسم بن عساكر مدرسُ دار الحديث النورية أن يتناول شيئاً من معلومه . وجعله لمن يرد عليه من الطلبة (٥).

وتقديراً للمدرس ، وثقة به وبأمانته ؛ فقد كان يسمح له بعدم القاء الدرس إذا لم يكن عنده الاستعدادُ النفسي . فلا يدرّس في وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه أو نعاسه أو قلقه ، ولا في حالة برودة الجو الشديدة أو شدة الحر. والغايةُ من ذلك أن لايخطىء . فربما أجاب أو أفتى بغير صواب إذا لم يكن مرتاحاً جسدياً ونفسياً وعقلياً (٦) .

(١) ابوشامة : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠ – ابن كثير : المصدر السابق، جزء ١٢ ، ص ٢٨١
(٢) ابو شامة : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠
(٣) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ٢٧
(٤) ابو شامة : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠
(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٣
(٦) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص ١٨٧

كان العلماء والفقهاء يرتدون زياً معيناً لتمييزهم من باقي الناس. وقد حافظوا في زيهم على الحشمة والاعتدال. وغالباً ما وضعوا العمائم على رؤوسهم حتى عرفوا بالمتعممة، وجعلوا أكمام جبابهم عريضة.

ولما زادوا في توسيعها، طولبوا بالحفاظ على مظهرهم وحسن هيئتهم من غير تكبر ولا خيلاء (١). كما اتخذ المدرسون إلا أقلهم ألقاباً دينية كتلك التي كان يتخذها الخلفاء والوزراء وغيرهم. وكان اللقب يدل على مكانة المدرس العلمية. ويري القلقشندي (٢) أنه كان لغالب الأسماء ألقاب لايتعدونها. ثم ترك أعيانهم ذلك لابتذاله بكثرة الاستعمال، وعدلوا إلى ألقاب غيرها. ومن هذه الألقاب لقب الإمام، والحافظ الكبير، والحافظ، وشيخ الإسلام، وحجة الإسلام، وأوحد العلماء، والمدقق والمحقق، وإمام المتكلمين، والعابد، والقطب، والمربي، والصالح، وأمير المؤمنين وغيرها (٣).

كان المدرس على الرغم من علو كعبه بالعلم يعمل على حضور المشيخات مستمعاً إلى دروس غيره. فقد كان فخر الدين بن عساكر يحضر مشيخة دار الحديث النورية، ومشهد ابن عروة في أول افتتاحه. (٤) كما كان زكي الدين البرزالي يدرس بالعروية ولم يفتر عن السماع (٥). وذلك أشبه باستمرار الاطلاع على العلوم الجديدة والكتب المؤلفة من قبل العلماء في عصرنا الحالي.

درج المدرسون على منح طلابهم الاجازات. والاجازات هذه على نوعين،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، طبعة دار المعارف، جزء ٤، ص ٤١ – ٤٢

(٢) المصدر السابق، جزء ٥، ص ٤٨٩

(٣) انظر من أجل الألقاب: النعيمي: المصدر السابق، جزء ١، ص ١٠٠ – ١٠٢ – ١٠٤ – ابن كثير: المصدر السابق، جزء ١٢، ص ٣٠٧ – القلقشندي: المصدر السابق، جزء ٦، ص ١٢ – ١٧ – ١٨ – ٢٢ – ٢٤ – ٢٦ – ٢٧ – ٣٨ – ٣٩ – ٥٢ – ٥٧ – ٥٨ – ٦٣ وص ٦٧ – عبدالغني محمود عبدالعاطي: المرجع السابق، ص ٢٦٩

(٤) النعيمي: المصدر السابق، جزء ١، ص ٨٣

(٥) النعيمي: المصدر السابق، جزء ١، ص ٨٦

إجازة أدبية فخرية تشبه الشهادة الفخرية التي تعطى في عصرنا الحالي، وتعطى هذه الإجازة لمن يتوسم فيهم الخير وهم صغار في السن ، وحتى للرضع منهم. وإجازة علمية بكل مافي هذه الكلمة من معنى ، وهي موضع البحث في هذا المقال ، وهي التي تعطي للطالب والمدرس المرتبة العلمية العالية . فطالب العلم لايعتبر قد وصل إلى المرتبة اللائقة إلا إذا حصل على الإجازة. وهذه الإجازة تعطى من قبل استاذه المشرف،سواء بالتدريس أو الفتيا أوعراضة الكتب(١). ينالها الطالب بعد أن يشعر أستاذه بمقدرته وكفاءته . وبعد أن يعرضه لأسئلة متعددة ومتنوعة في كتاب بعينه ، أو في الفقه عامة ، وفي الحديث وغير ذلك أمام جمهور الناس مناقشة علنيه تشبه احتفالا خاصاً يجتمع فيه أهل الفضل والعلم(٢). فإذا استطاع الطالب الإجابة على كل الأسئلة التي تطرح عليه ينال الإجازة من المدرس لامن المدرسة . يكتبها له الأستاذ ويوقعها لكي لاتزور الإجازات . ولا يكتفي الطالب بإجازة واحدة ، وكلما زاد عدد إجازاته زادت مكانته العلميـــة (٣) .

هذا ويمكن اعطاء إجازة بدون سماع الطالب مباشرة من الأستاذ . فقد يكون السماع عن طريق نقلة . فقد أجاز الحسين بن حميد بن عبد الصمد التميمي المتوفى سنة ٥٣١ هـ ابن عساكر بجميع حديثه ، ولم يسمع الحافظ منه مباشرة، بل سمع عن طريق بعض أصحابه (٤) .

نالت المرأة حظاً في العمل التعليمي وإن لم تتسلم وظيفة التدريس في مدارس ولعبت بعض النساء دوراً لايقل أهمية عما قام به الكثير من العلماء والفقهاء.

---

(١) عراضة الكتب : أن يحفظ الطالب كتاباً في علم من العلوم ، ثم يعرضه على مدرسه فيختبره فيه في عدة أماكن . فاذا أحسن الإجابة ولم يخطىء فيه كتب له الإجازة في ذلك . انظر عمر موسى باشا : الأدب في بلاد الشام ، ط ٢ ، ص ١١٩

(٢) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٦٥

(٣) النعيمي : المصدر السابق جزء ١ ، ص ١٠٢ ، ص٢٨٢ — ٢٨٣

(٤) بدران (عبدالقادر) : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جزء ٤ ، . ص ٢٨٤

وتتلمذ على أيديهن الكثير من الطلبة . فقد ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر أن جملة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ونيف وثمانون امرأة (١) .

وقد تزاحم الطلبة عليهن لما اشتهر عن بعضهن من الفطنة والذوق ، وصبرهن على القيام بوظيفة التدريس (٢) .

وتمدنا المصادر بأسماء الكثيرات من النساء النابغات في العلم ، واللواتي قدمن العلوم للكثير من الطلبة . والسؤال الذي يطرح هو أين كانت النساء تتعلم وتعلم؟ وهل كان هناك مدارس مخصصة للنساء ؟ . وهنا نجد لسؤالنا جوابين مختلفين قدمتهما لنا المصادر . يرى البعض أن الفتاة كانت تتلقى علومها في منزلها . وأن أهل الفتاة هم الذين كانوا يلقنونها العلوم إلى أن تصل إلى درجة معينة . ثم تتلقى العلم على من يحضره لها أهلها من المدرسين . لذلك فإننا نقرأ أن فلانة حفظها أو أسمعها أبوها أو جدها أو عمها . حتى إذا سمعت عن شخص آخر يكون ذلك بقراءة أحد أقاربها . ويفهم من ذلك أن الفتاة تتعلم بواسطة أهلها وتعلم كذلك (٣) . وإذا صدق هذا القول في بعض المجالات . فلا يمكن أن ينطبق على كل الحالات . وذلك لأن بعض النساء تلقين تعليمهن على يد كثير من المشايخ في الشام . بل وارتحلن في طلبه ، وجاورن . كما أن بعض المدرسين تخصصوا في تعليم النساء (٤) . وبالتالي فإن بعض النساء وصلن إلى مرحلة علمية متقدمة . وقد حصلت النساء على الإجازة . فقد أجيزت تاج العرب بنت غيلان من شرف الدين ابن فلوس سنة ٦٣٠هـ ، وروت عنه (٥) .

لقدبرزت أسر علمية في دمشق في هذا القرن ، وتسلمت هذه الأسر تقريباً التدريس في مدارس المدينة . فقد كان ينبغ عدد من أفراد الأسرة في علم بعينه ، او في علوم مختلفة . فكان بنو عساكر شيوخ الشافعية في

(١) محمد كرد علي : المرجع السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٥

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ، جزء ١٢ ، ص ٥٢

(٣) انظر ابن حجر : الدرر الكامنه ، جزء ٢ ، ص ٢٣٧ – السخاوي : الضوء اللامع ، جزء ١٢ ، ص ٤٥ و ص ١٣١ وص ٥٦ و ص ١٥٧

(٤) السخاوي : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ١٢٤

(٥) النعيمي : الدارس ، جزء ١ ، ص ٥٤١

علم الحديث . (١) ونبغ بنو جهيل في الفقه خاصة (٢) كما نبغ عدد من العلماء من آل عصرون في الفقه والحديث ، فكان منهم محيي الدين محمد بن عبدالله بن محمد ، وشهاب الدين بن عبد السلام بن المطهر ، وقطب الدين أحمد بن عبد السلام ، وشرف الدين عثمان بن محمد ، ومحيي الدين عمر بن محمد (٣) . وكذلك آل الدولعي ، فكان منهم ضياء الدين الدولعي وجمال الدين الدولعي (٤) ، وآل الحرستاني مثل الكمال بن الحرستاني وغيره . كما كان ملوك الدولة النورية والصلاحية في غالبيتهم من العلماء فنور الدين زنكي ، وكذلك صلاح الدين ، والملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه من العلماء ، والملك العزيز وغيرهم .

شهأأر علماء هذا العصر في دمشق بو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) (٥) والقاضي المرتضى عبدالله بن القاسم الشهرزورى والد القاضي جمال الدين (ت ٥١١ هـ) (٦) . وجمال الاسلام ابن المسلم (ت ٥٣٣هـ) (٧) . وشرف الاسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي ثم الدمشقي الحنبلي (ت ٥٣٦هـ) (٨) أبو الفتح المصيصي نصر الله محمد بن عبد القوي (ت ٥٤٢ هـ) (٩) وجمال الدين شيخ المالكية (ت ٥٤٣ هـ) (١٠) وبهاء الدين الشيرازى وعبد الملك بن عبد الوهاب (ت ٥٤٥هـ) (١١) والشيخ الحسن بن مسماح

---

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨٥
(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٠
(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦
(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤١٩
(٥) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ١٧٥
(٦) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ١٨١
(٧) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٠ – ١٨١
(٨) المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٥ – ٦٦
(٩) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٧
(١٠) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠
(١١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٧

الهلالي الحنبلي (ت ٥٤٦هـ) وبرهان الدين علي بن الحسن البلخي (ت ٥٤٨هـ) (١) والشيخ أبو البيان بنا بن محمد المعروف بابن الحور اني (ت ٥٥١هـ)(٢) وابراهيم بن حمزة الجرجراني (ت ٥٥٩هـ) (٣) وابراهيم بن محمد الموصلي (ت ٥٦٠هـ) (٤) . وعبد الكريم بن محمد الحرستاني (ت ٥٦١هـ) (٥) . وأبو البركات بن عبد الحارثي الدمشقي (ت ٥٦٢هـ) (٦) وجمال الأئمة علي بن الحسن بن المانح (ت ٥٦٢هـ) (٧) . والصائن بن عساكر (ت ٥٦٣ هـ) (٨) . وزكي الدين أبو الحسن علي القرشي (ت ٥٦٤هـ) (٩) وأبو بكر محمد بن علي بن المسلم (ت٥٦٤هـ)(١٠) وأبو محمد عبد الخالق بن أسد الدمشقي الحلبي (ت ٥٦٤هـ) (١١) . وأبو المظفر بن الحكيم محمد أسعد (ت ٥٦٧هـ) (١٢) وابو المجد بن أبي الحكم محمد بن عبيدالله (ت ٥٧٠هـ) (١٣) . وأبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١هـ) (١٤) وابو المظفر ابن عساكر عبدالله بن محمد (ت ٥٧١هـ) (١٥) والقاضي كمال

---

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٨١ – ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ،
(٢) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ٢٣٥
(٣) عبدالقادر بدران : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٦
(٤) عبدالقادر بدران : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٦٠ – ١٦١
(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٣
(٦) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٣
(٧) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤
(٨) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤١٦ – ٤١٨
(٩) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٣
(١٠) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٢
(١١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٣٧ – ٥٣٨
(١٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٣٩
(١٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٣٧ – كرد علي : المرجع السابق ، جزء٦ ،
(١٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٣
(١٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢١

الدين بن محمد بن عبدالله الشهرزوري (ت ٥٧٢هـ) (١) وقطب الدين مسعود بن محمد النيسابوري (ت ٥٧٨هـ) (٢) . وسديد الدين الشيرازي (ت بعد ٥٨٠هـ)(٣). وأبومحمد البجلي ابن الشاعر عبدالله بن محمد (ت ٥٨٤هـ)(٤) والقاضي عبد الله بن محمد شرف الدين بن عصرون (ت ٥٨٥هـ) (٥). ونجم الدين بن عبد الوهاب الشيرازي (ت ٥٨٦ هـ) (٦).

وعز الدين الشيرازي (ت ٥٨٦هـ) . وعبد الرحمن بن علي الملحي (ت ٥٨٧هـ)(٧). وتقي الدين عمر بن شاهنشاه الملك المظفر (ت ٥٨٧هـ) (٨) . وأبو النصر محمد بن علي الطوسي (ت ٥٩١هـ) (٩) . والمجير محمود بن المبارك الواسطي (ت ٥٩٢هـ) (١٠) . ومجد الدين أبو محمد طاهر بن نصر الله بن جهبل(ت ٥٩٦هـ)(١١) . وعماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت ٥٩٧هـ) (١٢). وضياء الدين عبد الملك بن زيد الدولعي (ت ٥٩٨هـ) (١٣) . وضياء الدين الشهرزوري (١٤) . وبرهان الدين مسعود بن الموفق (ت ٥٩٩هـ) (١٥) . وزين

---

(١) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ٢٤٢
(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٤
(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٩
(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٧٣
(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٠٠ – ٤٠١
(٦) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٨
(٧) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٤
(٨) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١٨ – ٢١٩
(٩) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤١٥ – ٤١٦
(١٠) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧
(١١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٠
(١٢) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ٢٥٣
(١٣) ابو شامة : ذيل تاريخ الروضتين ، ص ٣١
(١٤) ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٣٥
(١٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ٥١٣ – ٥١٤

الدين بن نجا المعروف بابن نجيه (ت ٥٩٩هـ) (١) . والحافظ القاسم بن عساكر بن الحافظ الكبير (ت ٦٠٠هـ) (٢) .

وهناك من علماء ومدرسي مدينة دمشق ، من توفي في القرن السابع الهجري ولكنهم علموا وأثروا على الحركة العلمية في دمشق في القرن السادس الهجري. ومن هؤلاء : ضياء الدين علي بن عقيل (ت ٦٠١هـ) (٣) . وشرف الدين علي بن أبي بكر السلمي حفيد جمال الاسلام (ت ٦٠٢هـ) (٤) . وتقي الدين عيسى بن يوسف العراقي الضرير (ت ٦٠٢هـ) (٥) . وشمس الدين محمد بن معن بن سلطان(ت ٦٠٤هـ) (٦) .ووجيه الدين أسعد بن المنجا بن بركات(ت٦٠٦هـ)(٧) وأبو عمر محمد بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت٦٠٧هـ) ومهذب (٨) الدين الموصلي (ت ٦١٠هـ) . والحافظ الرهاوي (ت ٦١٢هـ) (٩) . وصائن الدين عبد الواحد بن اسماعيل الدمياطي (ت ٦١٣هـ) (١٠) . وتاج الدين الكندي زيد بن الحسن البغدادي (ت ٦١٣هـ) (١١) . وقاضي القضاة أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني (ت ٦١٤هـ) (١٢) . والقاضي شرف الدين أبو بكر عبد الله بن عبد الرحمن بن زكي القرشي الدمشقي (ت ٦١٥هـ) (١٣) . وعمر بن العزيز العز القرشي (ت ٦١٥هـ) (١٤) . وشهاب الدين الشيرازي عبد الكريم بن

---

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٧
(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠١ — ١٠٣
(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٤
(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٢
(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٥
(٦) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٤٣
(٧) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٤ — ١١٥
(٨) النعيمي : المصدر السابق ، جزء م ، ص ١٠٠ — ١٠١
(٩) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٨
(١٠) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٤ — ١٨٥
(١١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٨٥
(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٩١ — ٣٩٢
(١٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٧
(١٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٥٤

الفقيه نجم الدين (ت ٦١٩هـ) (١) . والفخر عبد الرحمن بن محمد بن عساكر (ت ٦٢٠هـ) (٢) . وجمال الدين يونس بن بدران المصري (ت ٦٢٣هـ) (٣) . والكمال عبد الجبار بن عبد الغني الحرستاني (ت ٦٢٤هـ) (٤) . وزين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن عساكر (ت ٦٢٧هـ) (٥) . ومهذب الدين عبد الرحيم بن علي البياني الدخوار (ت ٦٢٨هـ) (٦) . والحافظ جمال الدين عبد الله بن عبد الغني المقدسي (ت ٦٢٩هـ) (٧) . وفخر الدين أبو بكر محمد بن عبد الوهاب الشيرجي (ت ٦٢٩هـ) (٨) . وسيف الدين علي بن علي الأمدي الحنبلي ثم الشافعي (ت ٦٣١هـ) (٩) . وناصح الدين الشيرازي (ت ٦٣٤هـ) (١٠). وشمس الدين بن سني الدولة (ت٦٣٥هـ) . وجمال الدين محمد بن أبي الفضل الدولعي (ت٦٣٥) (١١) وشمس الدين محمد ابن هبه الله من محمد الشيرازى (ت٦٣٥) (١٢) وجمال الدين محمود بن احمد الحصيرى (ت ٦٣٦هـ) (١٣).والرشيد محمد بن ابي بكر الحنفي النيسابورى (ت٦٣٧هـ)(١٤) وشمس الدين عمر بن أسعد بن المنجا الحنبلي (٥٥٧ – ٦٤١هـ) (١٥) . وضياء

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٧١ – ٧٢
(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨٤
(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٦ – ١٨٨
(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٧
(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٤ – ١٠٥
(٦) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢٧
(٧) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٧ – ٤٨
(٨) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٩٩
(٩) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٩٣
(١٠) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٧٠
(١١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٣
(١٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣
(١٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦١٩
(١٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٨ – ٥٩٠
(١٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٧

الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي الحافظ (٥٦٧ – ٦٤٣هـ) (١) . وعلم الدين السخاوى ابو الفتح علي بن محمد (٥٥٩ – ٦٤٣هـ)(٢) . وتقي الدين بن الصلاح عثمان بن الشيخ الامام البارع صلاح الدين (٥٧٧ – ٦٤٣هـ(٣) والتقي اليلداني ، تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم (٥٦٨ – ٦٥٥هـ) (٤) وعماد الدين بن الحرستاني أبو الفضائل عبد الكريم بن جمال الدين (٥٧٧ – ٦٦٢هـ) (٥) .

– **المعيدون :** يعتبر المعيد من اعضاء الهيئة التدريسية ، ويختلف هذا المنصب التعليمي اختلافاً كلياً عن نقيب الطلبة الذي يعتبر من جملة الطلبة (٦) . كما يعتبر المعيد المدرس الثاني للطالب . يعيد الدرس على الطلاب ، ويتوقف لشرح النقاط او المشاكل التي لم يتم فهمها من الاستاذ . ربما لضيق الوقت او للاحترام الشديد من الطلبة لاستاذهم ، والذي يمنعهم في كثير من الاحيان من طلب إعادة الشرح اكثر من مرة ليفهموه ويحسنوه (٧). كما يقرأ النص الذى يعينه الاستاذ للطلاب ويشرحه ، فيهيئ الاذهان لفهم الدرس ، ويراجع الطلاب فيما طلب منهم حفظه او بحثه (٨) . ويكون اشتراك المعيد في التدريس مع استاذه بداية لترقية إلى رتبة مدرس (٩) .

كان المجال مفسوحاً أمام المعيد لينتقل إلى مرتبة مدرس . ولابد له من أجل ذلك من أن يرحل في طلب العلم، على الرغم مما يعانيه من مشاق السفر.

(١) النعيمي : المصدر ، جزء ٢ ، ص ٩١ – ٩٤
(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢١ – ٣٢٢
(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠ – ٢١
(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٩٣
(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢ – ٢٣
(٦) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٢٥
(٧) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٦٤
(٧) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٢٥
(٩) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠١

ولكنه لايبخل على علمه بكل ما يملك من طاقة وجهد ومال . وهو لايبغي من هذا السفر الا الاتصال بالعلماء أمثاله ، عسى ان يجد جديدا عندهم فيتعلمه . وكان في كل بلد يدخله يسمع من علمائه ، ثم يعود فيروي عنهم. فقد تنقل عبد الكريم الحرستاني لتلقي العلم من دمشق إلى بغداد إلى خراسان وغيرها (١)، والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة .

وبعد الرحلة العلمية ، غالباً مايصبح المعيد مدرساً . فقد يتولى التدريس بعد أستاذه في نفس المدرسة التي درس بها ، وذلك بعد ان يترك أستاذه التدريس ، إما لكبر سنه ، او بسبب وفاته ، او لاسباب أخرى . وقد ينتقل المعيد من مدرسة كان معيدا فيها ليتسلم التدريس في مدرسة أخرى ، قد تكون في نفس المدينة التي كان فيها. أو ينتقل إلى مدينة أخرى للتدريس في مدارسها . فقد كان المجير الوسطي البغدادي (٥١٧ ــ ٥٩٢هـ) معيداً في شبيبته للامام أبي النجيب السهروردى في بغداد ، ثم سار إلى دمشق فدرس بالمدرسة التي بنيت له وهي المدرسة الجاروخية . ثم عاد إلى بغداد للتدريس في النظامية (٢) .

وقد يكون المعيد في مدرسة ، مدرساً في مدرسة أخرى بنفس الوقت . فقد كان جمال الائمة علي بن الحسن بن المانح (٤٨٨ ــ ٥٦٢هـ) معيدا لجمال الاسلام بالأمينية ومدرساً بالمجاهدية ، إضافة إلى حلقة كبيرة كانت له بالجامع الاموى ، يقرىء بها القرآن والامثلة على ذلك كثيرة(٣).

كان للمدرس معيدا أو أكثر . وممن أعاد في المدرسة النورية الكبرى شرف الدين أرسلان المتوفى سنة ٦٣٩هـ. كان يعيد للامام برهان الدين مسعود(٤) وقد أعاد بالمدرسة الرواحية كمال الدين أبو أبراهيم ، واسحق بن أحمد بن عثمان المغربي ، وابن الصلاح الذى اعاد فيها اكثر من عشرين سنة .

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٣
(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦
(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٣
(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦٢٠

وتاج الدين بن الحباب (١). كما أعاد عبدالكريم الحرستاني (٥١٧ ــ ٥٦١هـ) بالمدرسة الامينية عن أبن أبي عصرون . وقد ذكر الكتبي ان بن أبي عصرون استنا به بالزاوية الغربية بجامع دمشق ، وضم اليه المدرسة الامينية (٢) كما أعاد عبدالرحمن الملحي الفقية(٤٩٩ــ٥٨٧هـ)بالأ مينية عن جمال الاسلام(٣).

وكان هؤلاء المعيدون على درجة علمية عالية . فقد أفاد بعضهم الطلبة كثيرا ، وأخذ عنهم جماعة . فممن قرأ على ابن الصلاح محي الدين النواوى . وقال عنه في اوائل تهذيب الاسماء واللغات ، أول شيوخي الامام المتفق على علمه وزهده وورعه وكثرة عبادته ، وعظيم فضله ، وتمييزه في ذلك على اشكاله (٤). كما سمع بعضهم عن كثيرين . فقد سمع المعيد عبدالكريم الحرستاني من جمال الاسلام السلمي ، وأبي الحسين بن قبيس، ورحل فسمع ببغداد ، ودرس على أبي منصور بن الرزاز شيخ الشافعية ، ومدرس النظامية في ذلك الوقت . وسمع بخراسان دروس محمد بن يحيى النيسابورى ، وكان جمال الائمة بن المانح معيدا بالامينية ، ومدرساً بالمجاهدية وقرأ على أبي الوحش وغيره ، وتفقه على استاذه جمال الاسلام السلمي، ونصرالله المصيصي . وروى عنه كثيرون ، منهم أبو المواهب ، وأبو القاسم بن صصرى وجماعة . وكانت له فوق ذلك حلقة كبيرة في الجامع الاموي يقرأ فيها القرآن والفقه والنحو (٥). وسمع المعيد عبدالرحمن الملحي من عدد كبير من العلماء ، على رأسهم أبو الحسن الموازيني ، وعلي بن احمد بن بشر ، وأبو الحسن بن السلمي الفقية ، وطاهر بن سهل الاسفراييني ، ونصر الله المصيصي الفقية وجماعة ، كما روى عنه كثيرون (٦).

---

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٨

(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٣

(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٤

(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٨

(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٣

(٦) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٤

— **الطلاب**: يطلق البعض على الطلبة اسم فقهاء المدارس . ولم يكن يشترط سن معينة لقبول الطالب بالمدرسة ، ولكن بعض الواقفين وضعوا شروطاً فحواها أن تتوفر في طلبة مدارسهم قابلية التعليم واتصافهم بالفطنة والذكاء (١) . كما كان من الواجب قسم الطلبة إلى فرقتين ، فرقة المبتدئين ، وفرقة المنتهين (٢) .

وكان هذا التقسيم بحسب مستويات الطلبة ضرورياً لحسن سير العملية التعليميه ، وذلك لأن مدة الدراسة في المدرسة لم تكن محدودة بزمن معين . وكان عدم تقسيم الطلبة إلى فرق علمية يؤدي إلى كسل الطلبة الذين قاربوا على الانتهاء ، والذين اتخذ بعضهم من طلب العلم وسيلة للعيش والارتزاق (٣).

وينصح الطالب بأمور كثيرة منها :

— تجنب كثرة الأكل والشرب لأنه يؤدي إلى الخمول والبلادة وقصور الذهن ، وان يقلل استعمال المأكولات التي تؤدي إلى الخمول (٤) .

— إذا بدأ الطالب في كتابة شيء من العلوم الشرعية ، فعليه أن يكون على طهارة كاملة ، وأن يراعي الآداب المتعارف عليها عند كتابة اسم الله واسم الرسول . وأن يتجنب الكتابة الدقيقة ، وأن يكون القلم الذي يكتب فيه متوسطاً ، فلا يكون صلباً ولا رخواً . وبعد الانتهاء من الكتابة عليه أن يراجع ماكتبه على الأصل الذي نقل منه ، وتصحيحه وضبطه عليه .

— إذا استعار أحد الطلبة كتاباً من زميل له ، فعليه أن يفحصه جيداً عند استلامه منه ، وكذلك عند رده إليه ، وألا يطيل مقام الكتاب عنده ، ويرد إلى صاحبه إذا طلبه منه أو بمجرد انتهائه من مطالعته . وأن يحافظ على الكتاب ولا ينسخ منه ولا يكتب شيئاً منه أو يعيره إلى غيره . ولا يصلح الكتاب إذا كان في حاجة إلى ذلك إلا بعد موافقة صاحبه (٥) .

---

(١) السبكي : المصدر السابق ، ص ١٠٥ — ١٠٧

(٢) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٣٧

(٣) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٣٧

(٤) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٤٢

(٥) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٤٢

كانت مراقبة الدوام والمواظبة على الحضور هامة جداً ليتأكد الأستاذ من أن طلابه حضروا وسمعوا كل مادرس لهم . ولتضبط ذلك بشكل دقيق ، كان هناك موظف مختص يعتبر من موظفي الإدارة يعرف بأسم كاتب الغيبة ، يسجل اسم من يتخلف عن الحضور ، ويرفعه إلى الناظر أو نائبه ، فيخصم عليه من راتبه بمقدار ماتخالف إن رأى مصلحة بذلك . كما يكتب أسم الباب الذي فاته ، ليطالب بأسئلة منه عند قراءة الكتاب (١).

كان الطالب يقرأ في السنة أشهراً مخصوصة ، يداوم فيها في المدرسة ، ولا ينال الإجازة في التدريس والخطابة والإمامة ، إلا من ثبتت لمشايخه كفاءته ، وكان على استعداد لأن يزداد علماً . وغالباً ماتكون إجازات الطلاب بسموعات مشايخهم ومروياتهم (٢) .

وهناك نظم للعلاقة بين الأستاذ والطالب تدل على مدى احترام الفريق الثاني للأول وتبجيلهم (٣) . وكان طلاب العلم في كل مدرسة من المدارس يأخذون مرتبات مخصصة تكون على الغالب من الوقف المخصص للمدرسة . وقد يتأثر هذا المرتب إذا كان الوقف زراعياً ، بأحوال المواسم العامة ، وقد يقل المرتب لدرجة أن الطلاب الذين يعتمدون في إعاشتهم عليه ، يضطرون إلى ترك المدرسة في أثناء الجائحات . وقد ذكر لنا النعيمي شيئاً من هذا حين تحدث عن المدرسة الشرقية البرانية ، فذكر أن الحضور في بعض السنوات كان قليلاً بسبب قلة الجوامك في المدرسة بسبب الإجاحات (٤) .

هذا ولكي يصل الطالب إلى مرحلة متقدمة في العلم ، كان عليه أن لايأخذ من مشاهير بلده فقط . بل كان إذا فرغ منهم أو سمع عن شيخ يفوقهم شهرة في

---

(١) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠٠ — ١٠١

(٢) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠٠

(٣) انظر عن ذلك ابن جماعة تذكرة السامع ، ص ٢١٤ وص ٢٣١ — الزرنوجي : تعليم المتعلم ص ١١ — ١٥

(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٩٠

بلد آخر سافر اليه ، وهو ماتعارف عليه العلماء بالرحلة في طلب العلم (١)

كان الطالب يتدرج في مراحل تعلمه حتى يصبح فقيهاً منتهياً ، ويختص بعلم من العلوم التي يؤثرها ، فينال بها إجازته العلمية . قد تكون هذه الإجازة بالتدريس والفتيا ؛ والطالب الذي يسمح له بالفتوى يجب أن يكون على درجة علمية عالية . ولذلك فانه يؤذن بالافتاء إلى نبغاء الطلاب (٢).

ب ــ متسلمو الوظائف الإدارية والعملية

الوظائف الادارية .

الناظر : كان للمدرسة ناظر ينظر في اوقافها وفي أمور المدرسة عامة. ويعتبر الناظر بمنزلة مدير عام للمدرسة. فهو الذي يباشر شؤون المدرسة ويؤجر عقاراتها ، يشتري لها لوازمها ، ويعمر ويرمم ويصرف للموظفين رواتبهم ويخصم من المتخلفين مقدار ماتخلفوا ، ويزيد لهم في رواتبهم إن زادت الغلة ، وينزل لهم فيها إن قلت (٣) . وكان يشترط فيمن يتولى وظيفة النظر على الأوقاف أن يتمتع بالكثير من الصفات الخلقية كالأمانة والكفاية والعدالة وغير ذلك من الشروط (٤) . وكان يجمع في الغالب للمدرس وظيفة النظر في اوقاف المدرسة (٥) . فقد درس جمال الدين بن سيما المعروف بجمال الاسلام بالمدرسة الأمينية ، كما نظر في أوقافها ، لأن النظر من جهة الواقف مسند إليه (٦) . وقد يكون للناظر نائب أو وكيل، يعينه الناظر ممن يثق بهم ويراهم أهلاً لذلك (٧) .

ــ **الشاهد :** ويلحق بالناظر وظيفة شاهد . وكان في المدرسة شاهد أو أكثر ، وذلك بحسب مانص عليه الواقف . ويعتبر الشاهد كالمراقب للناظر أو نائبه ،

(١) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٦٢
(٢) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠١ ــ ١٠٢
(٣) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠١
(٤) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ١٥٩
(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٩ -كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠١
(٦) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٩
(٧) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠١

فإذا باع أو اشترى أو أجر أو أعطى شيئاً لأحد يكون ذلك بحضوره ، ويضع شهادته على الصكوك والعقود (١) .

— **المشارف** : هو المشرف على أمور المدرسة كالنظافة والخدمة وغيرها(٢).

— **الصدر** : هو الذي يجلب للمدرسة الكثير من أهل الطلب والعلم . وهو أشبه بمدير المدرسة . وليس من الضروري أن يكون لكل مدرسة صدرها ، لأنه إذا أمكن أن تستغني المدرسة عن مدرس وتكتفي بالمعيدين بها ، فالأولى أن تكتفي بالمدرس ، وتنتظر الفرصة التي تتيح لها فرصة تعيين صدر (٣).

— **الوظائف العمليـة** :

كان للمدرسة مؤذن وقيم : يقوم المؤذن بالآذان في المدرسة وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بالأمور الدينية ، كالإمامة والخطابة وقراءة القرآن ونظر خزائن الكتب (٤) . وكان لهؤلاء مخصصات من الوقف أيضاً . وقد ترك لنا النعيمي في حديثه عن وقف المدرسة الشامية الجوانية ، مايعتبر أفضل وأقرب مثال لمرتب المدرس في دمشق في هذه الحقبة التاريخية ، وعن كيفية صرف الوقف على الوجوه المختلفة . وشرط صاحب الوقف أن يكون هؤلاء من أهل الخير والدين والصلاح والعفاف وحسن الطريقة ، وسلامة الاعتقاد والسنة والجماعـة (٥) .

٢ — أنواع العلوم التي تدرس : ثقافة العصر العامة .

أبرز سمات الثقافة في هذا العصر ، الاهتمام بالثقافة الدينية من علوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، والفقه الاسلامي . وهناك إلى جانب العلوم الدينية

---

(١) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠١

(٢) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠١

(٣) كحالة : المرجع السابق ، ص ٩٥

(٤) كحالة : المرجع السابق ، ص ١٠٠

(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣

العلوم اللغوية أو علوم اللغة العربية ، والعلوم التاريخية والاجتماعية ، وعلم الطب ، وعلوم أخرى متفرقة .

كان علماء الحديث في دمشق على الغالب ، يدرسون كتب الحديث المصنفة المشهورة كصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي ، ومسند أحمد وغيرها (١) . ومن أجلّ من اشتغل بعلم الحديث هذه الفترة ، الحافظ ابن عساكر ، وتقي الدين عثمان بن الصلاح ، وشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون (٢) .

أما الفقه ،فكان يغلب على التدريس في دمشق فقه الإمام الشافعي ، وبدرجة أقل فقه الإمام أبي حنيفة.ويندر التدريس بالفقه المالكي والحنبلي. وإذا استعرضنا كتاب النعيمي (٣) لوجدنا أكثره من المدارس الشافعية ، وأقل منها مداس الحنفية . حتى إن معظم مدارس الحنفية مشتركة بينها وبين الشافعية . وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة ابن موسى محمد بن عبد الله اللامشي الحنفي المتوفى سنة ٥٠٦هـ ، أنه كان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع ، فامتنع أهل دمشق من الصلاة خلفه ، وصلوا جميعاً في دار الخيل (٤) .

ويبدو أن اللامشي هذا الذي ولي قضاء دمشق كان يتعصب لمذهب الإمام أبي حنيفة تعصباً أعمى ، يعمل على فرضه قسراً على سكان دمشق ،على حين أن غالبية أهالي دمشق من الشافعية . وهذا ماأدى إلى صلابة موقف أهالي دمشق. ومن أقوال اللامشي التي تدل على تعصبه لمذهبه ، لو كانت لي الولاية ، لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية .

---

(١) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٧١

(٢) عمر موسى باشا : المرجع السابق ، ص ١٢٨

(٣) الدارس في تاريخ المدارس .

(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٨

كما كان مبغضا لأصحاب مالك أيضا (١) . ولم يحدث مثل هذا أيام حكم نور الدين على الرغم من انه كان حنفياً فقهياً في المذهب (٢) .

ومن مشاهير العلماء الأئمة المجتهدين تطب الدين مسعود النيسابوري المتوفى سنة ٥٧٨ هـ وعز الدين بن عبد السلام . ومنهم تلميذ الغزالي علي بن مسلم المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ، والشهرزوري المتوفى سنة ٥٧٢ هـ ، وموفق الدين بن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠ هـ (٣).

أما الأدب فهو من المواد التي تساعد على فهم الدين ، وتكوين ذوق سليم. ولذلك فأن أكثر العلماء في هذا العصر كان لهم المام به (٤) ومن نحاة هذا القرن ومدرسي المادة في دمشق أبو نزار حسن بن نزار المتوفى سنة ٥٦٨هـ، وتاج الدين زيد بن الحسن الكندي المتوفى سنة ٦١٣ هـ (٥) .

وحظي التاريخ بعناية الكثيرين ، ودرس في المسجد الأموي ، وفي أماكن أخرى متعددة . فقد كان أبو شامة يقرىء التاريخ درساً عاماً في الجامع الأموي في دمشق(٦).ومن أشهر مؤرخي هذا العصر إلى جانب ابي شامة ابن أبي طي والعماد الكاتب ، وابن شداد وابن الاثير والحافظ الكبير ابن عساكر . (٧)

كانت الحاجة ماسة إلى الطب وكان في دمشق في القرن السادس الهجري بيمارستانان قديم وحديث . والغالب ان الحديث هو البيمارستان النوري . وكان موقوفاً على الفقراء والمساكين ، بما في ذلك العلاج والدواء . ومع ذلك فان الأدوية التي يعز وجودها لاتمنع عن غيرهم . ومن جاء اليه فلا يمنع من شرابه . (٨)

(١) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ١٧٥
(٢) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ٢٧٨
(٣) عمر موسى باشا : المرجع السابق ، ص ١٣١ — ١٣٢
(٤) كحالة : المرجع السابق ، ص ٩٦
(٥) عمر موسى باشا : المرجع السابق ، ص ١٣٧
(٦) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٧٠
(٧) عمر موسى باشا : المرجع السابق ، ص ١٤٤ — ١٤٧
(٨) ابن جبير : رحلة ، ص ١٩٨ — ابن كثير: المصدر السابق ، جزء ١٢ ، ص ٢٧٨ و ص ٢٨١

كما كان هناك مدارس الطب وعلى رأسها المدرسة الدخوارية . وكانت بالصاغة العتيقة . ومن أطباء هذا العصر المشهورين واقف المدرسة مهذب الدين دخوار (١) وابن ابي الحكم المتوفى سنة ٥٧٠ هـ الذي جعل له امر الطب في البيمارستان النوري . وقد وصلتنا صورة مشرفة لاشراف هذا الطبيب واهتمامه بمرضاه وتعليم طلابه ، تعتبر من أرقى الصورة المعروفة. فقد كان يدور على المرضى في البيمارستان ويعتبر أحوالهم ، وبين يديه المشارفون والخدام للمرضى .

وكل مايكتبه لهم لايؤخر عنهم . فإذا فرغ من ذلك طلع القلعة ، وافتقد مرضى السلطان وغيرهم وعاد إلى البيمارستان وجلس في الايوان الكبير حيث توجد خزانتان كبيرتان تحويان كتباً طبية فيأتي اليه الأطباء والمشتغلون ، ويجلسون بين يديه ، ثم تجري مباحث طبية ، ويقرىء التلاميذ . ولايزال معهم في مباحث واشتغال ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات . ثم يركب بعد ذلك كله إلى داره بدمشق (٢).

ومنهم علي بن هبة الله المعروف بابن النقاش المتوفى سنة ٥٤٥هـ ، وتلميذه أبو زكريا يحيى البياس من أطباء صلاح الدين ، وعمر بن علي البذوخ الدمشقي المتوفى ٥٧٦ هـ ، وموفق الدين بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧هـ (٣) .

وكذلك فقد نبغ كثيرون في علم العقاقير والهندسة. ومنهم ابن عريف النخاسين(٤) واللبودي الذي أنشأ دار الهندسة ، وأبو الفضل عبد الكريم الحارثي المهندس الدمشقي المتوفى سنة ٥٩٩هـ وهو الذي أصلح الساعة التي بجامع دمشق وهندس أبواب البيمارستان النوري (٥).

---

(١) النعيمي: المصدر السابق ، جزء ٢، ص١٢٧–١٢٨

(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٣٧ – ١٣٨

(٣) عمر موسى باشا: المرجع السابق، ص١٥٢

(٤) عمر موسى باشا: المرجع السابق ، ص١٥٣ تصدير ابن واصل

(٥) عمر موسى باشا: المرجع السابق ص١٥٣

ما العلوم العقلية والفلسفية ، فلم يتح لها الانتشار لموقف الأيوبيين منها . ولايعني أهذا ان العصر خلا من كل ذلك في هذا المجال ، بل ان الحلقات العلمية لم تتناول هذه المواضيع على حين عزل الفلاسفه وصنفوا آثارهم في الكتمان،واخفوها عن العوام واطلعو عليها الخاصة من اصدقائهم خوفاً على حياتهم (١) .

٣ـ اماكن التعليم وحلقانة : أ ـ الحلقات العليا: يتم التدريس فيها في المدارس والمساجد والأربطة والخوانق والزوايا.

التعليم في المدارس (٦) :

انشئت اولى المدارس في مدينة دمشق في أواخر النصف الأول من القرن الخامس،حيث انشأ رشأبن نظيف بن ماشاء الله الدمشقي سنة ٤٤٤هـ مدرسته المعروفة بالرشائية وجعلها داراً لدراسة القرآن الكريم (٣).

ولقد كثرت المدارس في دمشق في عصر الدولتين النورية والصلاحية بشكل كبير ، وقام بانشائها بعض العتقاء والخصيان وعدد من الاناث وبنات الملوك والملكات والقواد وأهل اليسار من التجار وغيرهم(٤). وكان بعضهم يرجو من وراء ذلك الثواب ليس غير ، وآخرون كانوا يرجون الشهرة ، وفريق ثالث كان يرى ضرورة بنائها لتثبيت بعض الأفكار ومحو أخرى، وبعضهم من أصحاب الثراء كانوا يرون انفاق ثروتهم فيما ينفع الناس ، ويترك

---

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٣٢ وص ٤١٠ – ٤١١ – كحالة : المرجع السابق ، ص ٩٦

(٢) انظر تعريف المدارس في كحالة : المرجع السابق ، ص ٩٩ – محمد علي كرد : المرجع السابق ، جزء ٦ ، ص ٦٨

(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١١ – محمد كرد علي : المرجع السابق ، جزء ٦، ص ٧١ – كحالة : المرجع السابق ، ص ٩٩

(٤) كحالة : المرجع السابق ، ص ٩٩ – محمد كرد علي : المرجع السابق ، جزء ٦ ، ص ٦٩

(٥) محمد كرد علي : المرجع السابق ، جزء ٦ ، ص ٦٩

كانت المدارس التي تدرس الفقه أكبر المدارس ، والى جانبها مدارس أصغر منها أو زوايا في المسجد تعرف باسم دور القرآن ، تعلم القراءات على الأصول وما يتعلق بذلك . ومنها دور للحديث وأخرى لتدريس الطب والصيدلة والكحالة والهندسة ، والفلك والجغرافيا والتاريخ (١) .

لقد ذكر ابن جبير انه كان في دمشق نحو عشرين مدرسة . ويبدو لي من خلال استقصاء أسماء المدارس في هذه الفترة أنها كانت تزيد على العشرين كثيراً تقوم بالانفاق على من يدخل فيها للتعلم والاستفادة .

كانت المدارس على نوعين أحدهما كان في اصله منزل ، ولذلك فانه لا طابع خاص له. والآخر بني خصيصاً للتدريس ، وكانت هذه في العصر النوري واوائل العصر الأيوبي ذات أيوان أو أيوانين ، ثم ظهر بعد ذلك الطراز ذو الايوانات الأربعة وكانت المدرسة ذات الايوانات الأربعة ، مستطيلة البناء ، يتوسطها فناء كبير مربع ، يتوسط كل جانب من جوانبه الأربعة ايوان كبير ، يدرس بكل منها فقه إمام من الأئمة (٢) . ويصف لنا ابن جبير مدرسة نور الدين وزنكي فيقول عنها : ومن أحسن مدارس الدنيا منظراً مدرسة نور الدين رحمة الله وبها قبره. وهي قصر من القصور الأنيقة ينصب فيها الماء في شاذروان وسط نهر عظيم ، ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة الى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار ، فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر (٣) .

لم تكن المدرسة للتدريس فقط ، بل كانت مكاناً لدفن واقفيها في الغالب كما كانت مسجداً ، أو كان يلحق بها مسجد تؤدى فيه الصلاة . فمدرسة الكلاسة مثلاً كان يلحق بها مسجد وغيرها كثير (٤) . كما كان يلحق بالمدرسة

---

(١) كحالة المرجع : السابق ، ص ٩٩

(٢) نعمت اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٣٧

(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٩٨

(٤) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٤٨

سكن للمدرس . فقد ألحق بدار الحديث الاشرفية دار للشيخ المدرس بها(١) . كما قطن الفخر بن عساكر عبدالرحمن بن محمد بمدرسة الجاروخية كان يلحق بالمدرسة فوق هذا وذاك مكتبة عامرة بالكتب النفيسة ، يستخدمها الطلاب والاساتذة وكانت الكتب مرتبة البيوت ، مقسمة الرفوف مفهرسة لسهولة الوصول اليها على أدق وأفضل طرق تنظيم المكاتب في عصورنا (٢) . وكانت توقف على أشخاص بعينهم أو تودع في المدارس والزوايا للصالح العام فقد وقف تاج الدين الكندي كتباً نفيسة تقدر بسبعمائة واحدى وستين مجلداً ، جعلت في خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحلبية ، المجاورة لمشهد علي زين العابدين في الجامع الاموي (٣) . كما وقف أبو الفضل أحمد بن علي بن الفرات ت ٤٩٤هـ خزانة كتب في الجامع الأموي (٤) . كما كان لدار الحديث الفاضلية خزانة أوقف لها التقي اليلداني أكثر كتبه ومجاميعه . (٥) كما وقف نور الدين كتباً كثيرة على أخذ العلم ، وغيرها كثير (٦) .

وإلى جانب المكتبات العامة ، فقد كان هناك مكتبات خاصة لها قيمتها العلمية. فقد كانت كتب القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البياني العسقلاني تتألف من مائة الف مجلدة . (٧)

---

(١) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٩

(٢) ابو شامة : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٨

(٣) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٨٥

(٤) ابن بدران : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٤٠٨

(٥) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٩٣

(٦) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦٠٨

(٧) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٩٢

كان لكل مدرسة وقف خاص بها يصرف ريعه على الناظر والمدرسين والفقهاء والطلاب وغيرهم من أعضاء المدرسة . وليس من الضروري أن يكون الوقف المخصص للمدرسة موقوفاً من قبل واقف المدرسة بعينه . فقد يوقف الأوقاف لمدرسة من المدارس أشخاص غير الذين بنوها . فاذا كان لها وقف سابق توسع وقفها . واذا لم يكن لها يصح لها أوقاف تساعد على بقاء واستمرار نشاطها التعليمي (١). وخير الامثلة على أوقاف هذه الفترة وطريقه صرفها ، وقف المدرسة الشامية الجوانية (٢). ووقف المدرسة العمادية . (٣)

لم تكن أيام الدراسة المقررة واحدة في كل المدارس . فقد كانت تتراوح بين ثلاثة أيام وخمسة من كل اسبوع حسب شروط الواقف . كما لم تكن مواعيد الدراسة محددة تحديداً دقيقاً ، اذ لم تكن مواعيد بداية ونهاية اليوم الدراسي واضحة . وكانت الدراسة عموماً فيما بين طلوع الشمس وأذآن العصر (٤) . كما اختلفت العطل الدراسية السنوية من مدرسة لاخرى . ويضاف اليها العطل العارضة والمرضية . فقد كان يسمح للطلبة والمدرسين في كثير من المدارس بالتغيب عن المدرسة لمدة ثلاثة أيام في كل شهر مع صرف مرتباتهم عن هذه المدة .

واشترطت بعض المدارس ان تكون الأيام التي ينقطعون فيها عن الحضور متفرقة ، ومن تغيب أكثر من ذلك قطع معلومه النقدي والعيني (٥) . أما من أصيب بمرض يعجزه عن القيام بوظيفته، كان يصرف له معلومه إلى حين شفائه . وبدون تحديد زمن معين لفترة الاجازة (٦).

---

(١) النعيمي: المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٧٨ – ٧٩
(٢) النعيمي: المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٠١ – ٣٠٣
(٣) النعيمي: المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤١٢ – ٤١٣
(٤) عبدالغني محمود عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧
(٥) عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٤٨ – ٢٤٩
(٦) عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ٥٠

وأشهر مدارس هذا القرن في دمشق : المدرسة الأمينيه ، ودار الحديث الاشرفيه ، والمدرسة الاقبالية الشافعية ، والمدرسة الأكزية ، والمدرسة الأسدية ، والمدرسة البلخية، والمدرسة التقوية، والمدرسة الجاروخية ، والمدرسة الجركسية والمدرسة الحنبلية الشريفه والمدرسة الخاتونية البرانيه، والخاتونية الجوانية، والمدرسة الدولعية، والمدرسة الدماغية، والمدرسة الريحانية، والمدرسة الزنجارية ، والمدرسة الشبلية البرانية، والمدرسة الشامية البرانية، والمدرسة الشامية الجوانية ، والمدرسة الشريفية، والمدرسة الصادرية، ، والمدرسة الصالحية، والمدرسة الصاحبية ، والمدرسة الصلاحية والمدرسة الضيائية المحمدية، والمدرسة الطرخانية، والمدرسة الطومانية، والمدرسة الظاهرية البرانية، والمدرسة العمرية الشيخيه، والمدرسة العذراوية، العزيزية، والمدرسة العصرونيه ، والمدرسة العمادية ، والمدرسة الفرخشاهية، والمدرسه القيمازية والمدرسة الكلاسية ، والمدرسة المجاهدية الجوانية والمجاهدية البرانية ، والمدرسة المسمارية، والمدرسة المعينيه، والمدرسة المقنعية الجوانية، والمدرسة المقدمية البرانية، والمدرسة الناشئية ، والمدرسة النورية الكبرى، والمدرسة النورية الصغرى . والمدرسة الدخوارية للطب . (١)

التعليم في المساجد

كانت المساجد معاهد للعلوم الدينية والعربية غالباً، والاجتماعية والتاريخية أحياناً والعقليه نادراً، وخاصة في القرن السادس الهجري، حيث حوربت هذه العلوم من المساجد والمدارس . وتميز التعليم في المساجد بالحرية المطلقة بالنسبة للمدرسين والطلبة في اختيار المناهج (٢). وخير مثال على التعليم في مساجد دمشق الحديث عن المسجد الأموي.

حظيت زوايا المسجد الأموي ومدارسه في هذا القرن، بعنايه الكثيرين ، ووقفت لكل منها الأوقاف الكثيرة. ونال المدرسون به اجراء واسعاً، وأُلحق بمدارسه مساكن للطلبة والأساتذة وقد ترك لنا ابن بطوطه، وصفاً للتدريس في المسجد في كافة حلقاته فقال : وللمسجد الأموي حلقات للتدريس في

(١) اسماء المدارس مأخوذ عن النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس بجزئيه .
(٢) عبدالعاطي: المرجع السابق ، ص ١٧٠

فنون العلم ، والمحدثون يقرؤون كتب الحديث على كراسي مرتفعة ، وقراء القرآن يقرؤون بالأصوات الحسنة صباحاً ومساء ، وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله (١) .

ومن أشهر الزوايا التدريسية فيه زاوية الماكلية ، وقفها نور الدين للمغاربة الغرباء ، ووقف لها أوقافاً كثيرة. ودار الحديث الفاضليه ، ودار الحديث العروية، والمدرسة التاجية ، والمدرسة الغزالية، والمدرسة القوصية . (٢)

التعليم في الأربطة والخوانق :

الخانقاه بيت الصوفيه ومدرستهم ، وكذلك الرباط الا أنه بني أصلاً بغاية المرابطة للجهاد والصوفية في رباطهم متفقون على قصد واحد وعزم واحد . كان تعليم الصوفيه على قسمين ، قسم اجباري غالباً مايتعلق بالأمور الدينيه واللغة العربية وهي العلوم التي يرتب للصوفي الاشتغال بها، ويلزم بحضور دروسها، وآخر اختياري يختاره الصوفي بحسب قابلياته واستعداده (٣) .

أجري على الصوفيه النفقة والكسوة (٤) . وأشهر خوانقهم في دمشق الخانقاه السميساطية والطواويسية والناصرية . أما الأربطة فعلى رأسها الرباط البياني(٥).

ب ـ الحلقه الدنيا :

يتم التعليم في هذه الحلقة ، في المساجد أو الكتاتيب. وقد ترك لنا ابن جبير وصفاً حياً لتدريس الصغار في المسجد الأموي ، ويرى أن حلقات تدريسهم فيه تكاد لاتنقطع طيلة اليوم . وتبدأ على اثر صلاة الصبح . يلقن

---

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٨

(٢) النعيمي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨٩ – ٩٠ – ص٨٦ وص٤٨٣ – ٤٨٤ ص ٤١٣ – ٤١٤ – وص ٤٣٨ وص ٤١٨ – ٤١٩ وص ٤١٥ – ابن جبير : رحلته، ص ١٩١ – ١٨٧ – محمد كرد علي : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٩٣

(٣) عبدالعاطي : المرجع السابق ، ص ١٩٧

(٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٨

(٥) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ – النعيمي : المصدر السابق، ص ١٦٤ – وص ١٧٨

الصبيان القرآن تلقيناً وبعد إتقانه يبدأون بالكتابة وتعلم الخط. وهم يتعلمون الخط بنسخ الأشعار ، ولايكتبون آيات قرآنية تنزيهاً لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو. وكان الملقن غير المكتب (١). وفي ذلك مافيه من فائدة تعلم الخط الجيد . ويبدو ان تعليم الصغار كان يقتصر على تعلم القرآن والخط والأشعار ، يجرى للطالب بعد ختم القرآن احتفال عام يشترك فيه الطلبة وذويهم ومعلمهم .

كانت الرغبة في تعليم الصبيان كبيرة . ومنذه الرغبه من قبل الأهل والصبي والمقرىء مبعثها أنه كان لمقرئي الصغار اجراء واسع . وكان الصبيان يأخذون على قراءتهم جراية معلومة، ترغبهم في القراءة ، وترغب الأهالي الذين كانت أوضاعهم الاقتصادية سيئة بارسال أبنائهم للتعلم والكسب . وكان بعض أصحاب الجدة منهم، يرفضون السماح لأبنائهم بأخذ الجراية .

كما كان لصبيان الأيتام محضرة كبيرة في مدينة دمشق ، جعلوا لها وقفاً يأخذ منه معلم صبيان الأيتام، وينفق على الصبيان مايقوم بهم وبكسوتهم (٢). هذا ويبدو من هذا العرض السريع للتعليم في دمشق في القرن السادس الهجري ، أن هذا القرن كان قرن افتتاح المدارس في المدينة ، وأن مافتح قبل هذا القرن وبعده لايقاس بالنسبة للمدارس التي فتحت فيه. فهو قرن التعليم بحق . وقد نبغ فيه فئة كبيرة من العلماء المتخصصين في مختلف العلوم والفنون عدا العلوم العقلية ، التي لم يشجع القائمون بالامر عليها ويمكن القول أن العلوم التي أخذت حظها وسيطرت في هذا القرن ، في هذه المدينة هي العلوم الدينية من حديث وفقه وغيرها، ويليها علوم اللغة العربية، ثم العلوم الأجتماعية والتاريخية .

---

(١) ابن جبير المصدر السابق ، ص ١٩١ – ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٠٨

(٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٩١